محضرة

العمليّات العقليّة

لطلبة الماجستير للعام الدراسي 2025/2026

أ.م.د علي محمّدهادي عبود

العقل لغةً: هو الحِجر والنُهى، يقال رجل عاقل، أي: جامع لأمره ورأيه، وهو مأخوذ من العِقال، يُقال: عقلتُ البعيرَ إذا جمعت قوائمه، لذا قيل: العقل عقلاً لأنَّه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحبسه، والعقل التثبّت في الأمور، وأصل العقل هو الإمساك والاستمساك، وهو الذي يتميّز به الإنسان عن سائر الحيوان، وهو القوة المتهيئة لقبول العلم. والعقل من أدوات المعرفة، ويتميّز عمله عن عمل الحسّ، فإنَّ الحسّ لا يتعدّى المحسوسات، بل يقتصر عمله على نقل صورة عنها دون أن يكشف عن شيء آخر سوى ما تعلّق به، أمَّا العقل فالأمر فيه على العكس تمامًا، فإنَّه ينتقل من إدراكات إلى أخرى بعمليات متعدّدة.

وظائف العقل

الاستنتاج

التصنيف

التحليل

التركيب

ادراك المفاهيم الكلية

ادراك المفاهيم الابداعية

الاستنتاج: المراد من الاستنتاج الذي هو من أسمى عمليات العقل، استخراجُ حكم جزئي من حكم كلّي، ولا بدَّ أن يكون المستنتج منه أعم وأكثر كليّة من المستنتج.

التصنيف: هو توحيد الكثير، فيتمّ إدراج العناوين المتكثّرة تحت عنوان كلّي واحد، كالمهارات.

التحليل (التجزئة): هو تجزئة مفهوم واحد إلى مفاهيم كثيرة، فالتحليل تكثير الواحد.

والفرق بين التصنيف والتحليل أشبه بالبناء المخروطي، فالتصنيف يبدأ من قاعدة المخروط حتى يصل إلى القمة، فيجمع المختلفات تحت مفهوم واحد، والتحليل يبدأ من قمة المخروط ثم يحلّل أو يفكّك الأشياء شيئاً فشيئاً حتى ينتهي إلى القاعدة.

التركيب: هو قيام العقل بالتركيب بين قضيتين ويستنتج منهما قضية ثالثة قطعية، وبمعنى آخر هو تركيب الأجزاء وجمعها. وإنَّ التحليل والتركيب متعاكسان، فإنَّ التحليل تفصيل الأجزاء، والتركيب تركيبها وجمعها، فإن أخذنا من المجموع وانتهينا إلى الأجزاء كان تحليلًا، وإن أخذنا من الأجزاء وانتهينا إلى المجموع كان تركيبًا.

إدراك المفاهيم الكليّة: المفاهيم الكليّة هي التي لا تأبى الصدق والانطباق على أزيد من فرد واحد، فأسماء الأشخاص والأعلام لا تصدق إلّا على مَن سُمّيت به، بخلاف (الإنسان) فهو ينطبق على كثيرين .

إدراك المفاهيم الإبداعية: هناك مفاهيم ليس لها في الخارج مصداق تنطبق عليه بمعنى ليست موجودة بنفسها في الخارج وإنما الذهن يختلقها ويصطنعها، ولذلك تسمّى بالمفاهيم الاعتبارية.

أولى العمليات العقلية هو الإحساس، فما هو الإحساس؟

لغةً: الحسُّ والحسيس الصوت الخفيّ، والحِسُّ بكسر الحاء مِن أحسَسْتُ بالشيء، وحسَّ بالشيء يحسُّ حسًّا وأحسَّ به شَعر به. والإحساس العلم بالحواس وهي مشاعر الإنسان كالعين والأُذن والأنف واللسان واليد، الحواس جمع حاسّة وهي السّمع والبصر والشمّ والذوق واللمس. وحواس الإنسان: المشاعر الخمس وهي الطعم والشمّ والبصر والسّمع واللمس. الإحساس: هو رسالة مستقبل حسّيّ إلى شبكة الأعصاب المركزية بعد الاحتكاك بالمحسوس.

الفارق بين الإحساس والإدراك الحسّي

الإحساس عند علماء النفس لا يزوِّد بمعرفة وليست له قيمة معرفية، فهو انتقال التأثير من المستلِم الحسّي إلى شبكة الأعصاب المركزية بعد الاحتكاك بالمحسوس. وبمعنى آخر الإحساس هو تأثير يحصل بمثيرات بسيطة وهو في الواقع ردّ فعلٍ داخلي إزاء إثارات خارجية، فهو ظاهرة انفعالية تقع في المستلِم الحسّي والأعصاب الداخلية والدماغ.

ويتأسس على هذا أنَّ الإحساس يقع على مرحلتين:

1- التأثير أو الإثارة الخارجية
2- تأثير العضو الحسّي الذي يحصل بمساعدة شبكة من الأعصاب وينتقل منها إلى المراكز العصبية ويؤدي إلى الإحساس.

أمّا الإدراك الحسي (وهو مرحلة أعمق وأبعد من الإحساس) فهو عملية ذهنية يجري فيها تفسير الأحاسيس وبهذه الطريقة يحصل إدراك الأحاسيس، وبعبارة ثانية الإدراك الحسي عملية ذهنيّة أو نفسيّة يتمّ خلالها بلورة وصياغة معانٍ للتجارب الحسّيّة ويستطيع الإنسان عن طريق ذلك إدراك الأشياء والعلاقات القائمة بينها، ومن هنا فهذه المرحلة هي مرحلة معرفية ومفيدة للمعرفة.

إذاً هناك فارق بين الإحساس والإدراك الحسّي، فالإحساس ظاهرة انفعالية تحصل بإثارات بسيطة وهو لا يزوّدنا بمعرفة، والحواس سبل وآلات وأدوات يمكن عن طريقها التوصّل إلى معرفة العالم المحسوس والحصول على معلومات حول الأشياء خارج الذهن، وتسمّى المعرفة والمعلومات التي تُكتسب عن طريق الحواس الظاهرية بـ (الإدراك الحسي) وهو نوع معرفة للعالم الخارجي. ومن هنا يمكن تعريف **الإدراك الحسي على أنَّه: معرفةٌ للعالم المحسوس خارج الذهن ويحصل عن طريق الحواس الظاهرية.**

الإحساس مع كونه بسيطًا يستلزم توفر عناصر بحيث إذا لم تتوفر هذه العناصر جميعها أو بعضها لم يحدث الإحساس ويمتنع وجوده، وهذه العناصر هي:

أولًا: المحسوس الخارجي، أو المنبه أو المؤثر((Excitant

ثانيًا: انفعال الحس، أو التنبيه أو التأثير((Excitation

فالمنبّه (المؤثر) والتنبيه (التأثير) هما شرطان أساسيان وضروريان لحدوث الإحساس.

وجود مؤثر خارجي هو (المحسوس الخارجي) يؤثر في عضو الحسّ، فإذا أثّر المحسوس في الحسّ حدث الإحساس، وكذلك يشترط في الانفعال الحسّي (التنبيه الحسّي) تأثّر الحسّ عن المحسوس، فلا يكفي لحدوث الإحساس أن يكون المحسوس حاضرًا فحسب، بل يجب أن يؤثر المحسوس في الحسّ، فنحن لا نحسّ بحرارة النار البعيدة عنّا ولكن نحسّ بها فقط حينما تُؤثّر فينا، فما لم يؤثر المحسوس في الحسّ وما لم يتأثر الحسّ في المحسوس لا يحدث الإحساس.

وعلى هذا تكون خطوات الإدراك الحسّي ثلاث وهُنَّ:

الخطوة الأولى: المستوى الطبيعي: استقبال الحواس للمؤثرات، ولا تتحقق هذه الخطوة إلّا بملامسة واتصال المنبّه أو المؤثّر الحسّي بالعضو الحاس، وهذه الملامسة والاتصال تكون إمّا بصورة مباشرة كما في حاستي اللمس والذوق، وإمّا بصورة غير مباشرة كحاسة الشم والسمع والبصر، ولو وُجد الحاجز أو المانع من الملامسة والاتصال امتنع التأثير.

الخطوة الثانية: دور الفسيولوجيا والأعصاب، وهو يبدأ من استقبال العضو الحاس للمنبّه أو المؤثّر ونقله إلى مركز الإحساس في المخ عن طريق الجهاز العصبي .

الخطوة الثالثة: دور النفس، وتتمثّل في تحويل المؤثّرات والمنبّهات الخارجية من احساسات ماديّة إلى أفكار معنويّة، أي قيام العقل بإعطاء هذه المؤثّرات معنًى معيّنًا (صورة) وبها تكون عملية الإدراك قد وصلت إلى نهايتها وانتهت وتحقّقت وظيفتها.

العتبة الفارقة للحسّاسية

من الموضوعات المهمّة التي تتناول دراسة الإحساس هي الحساسية Sensitiveness فهي تنقسم إلى نوعين وهما:

1- الحساسية المطلقة: تعني القدرة على الإحساس بالمثيرات الضعيفة.
2- الحساسية للاختلاف: تعني القدرة على الإحساس بالفروق بين المثيرات.

عتبة الإحساس المطلقة

هي الحد الأدنى من شدة المثير الذي يستدعي احساسنا به، كطبيب الأذن عندما يريد فحص قوة السمع. أو هي: أقلّ مقدار من الإشارة العصبية المطلوبة لإصدار ردّ فعل أو لإنتاج إحساس، ولا بدَّ من أن يصل التنبيه أو مقدار الطاقة إلى درجة معينة من الشدة حتى يحدث الإحساس، هذه العتبة نسبية من شخص لآخر وتتفاوت وفقًا للظروف البيئية والنفسية.

العتبة الفارقة

هي الفرق في الاستثارة الذي يجعلنا نميّز بين مثيرين مختلفين في الدرجة.

فإذا وضعت في يدك ثقلًا وزنه 100 غرام ثمَّ أضفت إليه غرامًا واحدًا فأنَّ هذه الإضافة لا تجعلك تشعر بوجود فرق بين الوزنين، ولكي نشعر بالوزنين يجب أن نضيف 10 غرامات على الأقل، وهذا يعني أنَّ هذه العشر غرامات هي العتبة الفارقة لأنها كانت الحدّ الأدنى للإحساس بوجود فرق بين الوزنين.

العتبة القصوى

هي الحدّ الأعلى من شدة المثير الذي لا يستطيع عضو الحس أن يتحمّله.

لم يتوصل العلماء لمعلومات دقيقة عن العتبة القصوى وذلك لسببين:

1- إذا اقترب منها شدة المثير تألم عضو الحس.
2- إذا تجاوزها تسبب في تلف عضو الحس.

لذلك ينصح العلماء بعدم النظر إلى قرص الشمس أثناء الكسوف لأنَّه تجاوزَ العتبة القصوى. لكي يتمّ الإحساس بأيّ مثير يجب أن تكون شدّة المثير في مدى يتجاوز العتبة الفارقة ويقلّ عن العتبة القصوى.

حاسّة التوازن والحسّ الحركي أو العضلي

حاسّة التوازن: تتيح للإنسان معرفة الوضع الذي هو فيه، فإذا أوقفنا حواسنا عن المحفزّات والمثيرات والاحتكاك بها فنستطيع إدراك دور هذه الحاسّة.

لأنّنا في هذه الحالة وإن قطعنا حواسنا الأخرى عن المثيرات فإنّنا نبقى ندرك الوضع الذي نحن فيه، وهل نحن نسير أو واقفون، مُستَلقُون أو جالسون، وإذا كنّا في حالة الجلوس فهل جلستنا مستوية أو فيها انحناء للأمام أو الخلف، وإذا كنا مُستلقِين هل استلقاؤنا على جهة اليمين أو اليسار أو على الظهر وهكذا.

فإنَّ مستقبل حاسّة التوازن الذي يقع في دهليز الأُذن يتحسّس إزاء أي تغيير في وضع الجسم ويستطيع الإنسان الحفاظ على توازن جسمه، وإذا أُصيب المخيخ أو الدهليز بضرر أو عاهة يختل توازن الجسم ويتعذّر على الإنسان الحفاظ على توازنه.

الحسّ الحركي أو العضلي: إذا كنّا نريد معرفة هذه الحاسّة يكفي أن نغمض العينين ونتناول في أيدينا ما يكون قريبًا منّا كأن يكون قدحًا أو كتابًا ونلمس جميع جوانبه وحينها يمكننا تشخيص حجمه ووزنه.

عن أيّ طريق تُنال هذه المعلومات؟ هل تُنال عن طريق اللمس والحواسّ الجلدية وهي التي تُتيح لنا تحديد حجم ذلك الشيء ووزنه؟ أم هناك حسٌّ آخر يساعد على تشخيص هذه الأمور عند إمساكه أو رفعه باليدين أو حتى وضعه على الرجلين؟

لو قام أحدٌ بتخدير أعصاب الجلد مع ذلك يبقى قادرًا على تشخيص أحجام الأشياء الطبيعية وأوزانها وهذا يدلّ على أنَّ هناك مستقبلات حسّيّة أخرى موجودة في عضلات وأنسجة ومفاصل وعظام اليد يمكن عن طريقها معرفة هذه الخصائص وتمييزها والحاسّة التي تزوّدنا بمثل هذه المعرفة تسمّى (الحسّ الحركي أو الحسّ العضلي أو حسّ الحركة) وعن طريق هذا الحسّ يستطيع الإنسان أن يعرف مواضع حركة يده ورجله وأن يقوم بمختلف الأعمال.

الإدراك Perception

الإدراك لغةً هو اللحاق والوصول.

يُقال أدركَ الشيءُ بلغَ وقته وانتهى.

أدركَ التمرُ نَضَجَ.

أدركَ الولدُ بَلَغَ .

أدركَ الشيءَ لَحِقَه.

أدركَ المسألةَ عَلِمها.

أدركَ الشيءَ ببصره رآه.

السؤال المطروح الذي تنازعت فيه الآراء وتصارعت حوله الأفكار منذ القِدم وإلى يومنا هذا: ما هو ينبوع المعرفة البشرية؟ وما هو المصدر الذي يمدّ الإنسان بسيل من الفكر والمعرفة؟ فهذا السؤال يشكل الانطلاقة الأولى والأخيرة لأيّ فكرٍ ورأيٍ وفلسفة، لهذا ظهرت نظريات متعدّدة.

هل الإدراك مادّيٌّ أم مجرّدٌ ؟

حصول الأثر المادي يكون مقارنًا لحصول الإدراك والعلم والمعرفة في ذهن الإنسان، والسؤال الأهمّ هنا: هل حقيقة الإدراك والعلم هو ذاك الأثر المادي الحاصل في ذهن الإنسان عند حصول الإدراك؟ أو أنَّ الإدراك والعلم شيء آخر غير ذلك؟ وبعبارة أخرى: تكوّن أمر أو شيء ماديّ مقارنًا لحصول الحالة الإدراكية هل هو بعينه؟ أم يمكن أن يكون من مقدماته؟ وبعبارة ثالثة: هل حقيقة العلم والإدراك هو ذلك الأثر المادي الظاهر في الأدمغة عند حصول الإدراك، أو أنَّ العلم والإدراك شيءٌ وراء ذلك؟

إنَّ هناك فرقًا واضحًا بين كون الإدراك شيئًا تسبقه عمليات مادية وبين كون الإدراك ظاهرة مادية ونتاجا للمادة.

وللإجابة على هذا السؤال ثمّةَ فريقان أو اتجاهان متغايران .

الاتجاه الأول يقول: إنَّ الأثر المادي الحاصل في ذهن الإنسان ودماغه هو عين ونفس الإدراك والعلم، لأنَّ هذا الاتجاه يرى أنَّ الوجود مساويًا للمادة، ولهذا يقولون إنَّ العلم والإدراك هو نفس الآثار المادية البارزة والظاهرة في المراكز الإدراكية عند الإدراك .

أمَّا الاتجاه الثاني فيقول: إنَّ العلم والإدراك هو شيء آخر وراء ذلك الأثر المادّي الحاصل، وإنَّ له وجودًا خاصًّا غير مادي.

الأدلة القائلة بأنَّ الإدراك ليس ماديًّا

الدليل الأول: استحالة انطباق الكبير على الصغير.

الدليل الثاني: عدم انقسام الوجدانيات، كالحبّ والبغض والكراهة والإرادة وأمثالها.

الدليل الثالث: عدم اجتماع السيلان مع الوجدان.

أدوات المعرفة والإدراك

كلّ إنسان يولد صفرًا وخاليًا من المعرفة والإدراك، ثمَّ يكتسب بعد ذلك معرفته وعلومه وإدراكاته عن طريق أدوات خاصة تربطه بالعالم الخارجي ولولاها لكان الإنسان صفرَ اليدين وخالي الذهن من كلّ أنواع المعرفة والإدراك، وهذه الأدوات هي:

الأولى: الحس

هو الحَجر الأساس الذي يُبنى على قاعدته صرح التصورات البشرية والإدراكات الإنسانية، بل هو من أوثق مصادر المعرفة، وإليه تنتهي كلّ المعارف الضرورية والنظرية، ومع هذا كلّه لا يمكن حصر أداة المعرفة والإدراك بالحسّ فقط.

الحس ومعارفه ممهّدة للحصول على معارف أرقى وأعلى، فأنَّ الحس يسدّ قسمًا من حاجات الإنسان فهو يقوم بدور المعدّ للمعرفة العقلية، فالمعرفة الخيالية والعقلية متأخرتان عن المعرفة الحسية ومستندتان إليها.

فأيّ نقصٍ في المعرفة الحسية يستلزم النقص في المعرفة الخيالية والعقلية.

وفي الحقيقة أنَّ الحواس لا تقتصر على هذه الحواس الخمس، فهناك إحساسات داخلية كالمعدة التي تشعر الإنسان بالجوع، وكالرئتين تشعر بالاختناق، والجلد يشعر الإنسان بالألم والحرارة والبرودة، وهناك إحساسات بالفرح والحزن وغيرها من الإحساسات الداخلية، فهناك إحساس ظاهر يحدث في الحواس الخمس الظاهرة، وإحساس باطن يحدث في الحواس الباطنة.

الثانية: التجربة

التجربة هي تكرار المشاهدات الحسّيّة لصدور الأثر عن المؤثّر تحت ظروف مختلفة لإحراز التلازم بين الأثر والمؤثّر، وهي محدودة بحدود الحسّ وهي تفيد المعرفة اليقينيّة من تكرّر المشاهدات الحسّية. وهي من أرفع وأسمى أدوات المعرفة والإدراك في العلوم الطبيعية، وبها تتسامى الحضارة الإنسانية إلى قمة المعرفة الشاملة، وكلّ ما نعايشه من تطوّر وتقدّم مدين للتجربة.

الثالثة: العقل

بالعقل صار الإنسان إنسانًا وامتاز به عن سائر الكائنات الحيّة، ويتميّز عمله عن عمل الحس، فإنَّ الحسّ لا يتعدّى المحسوسات، بل يقتصر عمله على نقل صورة عنها دون أن يكشف عن شيء آخر سوى ما تعلّق به، أمَّا العقل فالأمر مختلف تمامًا، فإنَّه ينتقل من إدراكات إلى أخرى بعمليات متعدّدة.

الرابعة: التمثيل

هو سريان حكم من شيء إلى شيء آخر لجهة مشتركة بينهما، وهو مزج من عمل الحسّ والعقل، فلا هو أداة حسّية بحتة، ولا هو فرع من فروع العقل، وهو يبتني على الإحساس والاستدلال، وحقيقته هي: الاستدلال بالخاصّ على الخاصّ، وملاك استنباطه هو التشابه بين جزئيين.

الخامسة: الاستقراء

هو تصفح الجزئيات لإثبات حكم كلّي، وبعبارة أخرى: دراسة الذهن لعدة جزئيات ليستنبط منها حكمًا كلّيًا، وحقيقته هي الاستدلال بالخاصّ على العامّ، وملاك استنباطه هو التشابه بين جزئيٍّ لم ندرس حاله وجزئيات درسنا حالها فنَلْحق الجزئي المجهول بالجزئيات المعلومة الحال، وهو كالتمثيل لا أداة حسّية محضة ولا أداة عقلية كذلك، بل مزيج من الحسّ والعقل.

مراتب الإدراك (مراحله)

المرتبة الأولى: مرتبة الإدراك الحسّي

عندما يفتح الإنسان عينيه ويرقب ويشاهد الذي أمامه تحصل له صورة في ذهنه عن هذا المشهد، ويجد هذه الصورة حاضرة بالوجدان في نفسه، وهذه العملية تسمّى الإبصار، أو حينما يتحدّث شخص ويطرق صوته مسامع إنسان آخر فسنجد حالة أخرى في نفسه وهذه الحالة تسمى السّمع، وهكذا الحال في اللمس والشمّ والذوق، وتنتقل هذه الصورة للنفس عن طريق الأعصاب والدماغ.

المرتبة الثانية: مرتبة الإدراك الخيالي

إذا انتهى الإدراك الحسّي جاء مكانه الإدراك الخيالي، وفي هذه المرتبة يدرك الذهن أيضًا الصور والهَيآت الجسمية التي سبق وأن أدركها الحس، فهي عبارة عن صورة الأشياء التي تبقى محفوظة في الذهن بعد انقطاع الاتصال الحسّي بالخارج،

فبعد اختفاء وإمحاء الصورة الحسّية تترك أثرها في الذهن وتحفظ، فالمتخيلة تنقل الصورة الحسيّة إلى الخزانة، ومتى أردتُ أن أتذكرها قامت النفس بإخراج هذه الصورة من الحافظة من أجل تذكّرها، وهذا ما يُسمّى بمرحلة الخيال.

المرتبة الثالثة: مرتبة الإدراك العقلي

هذه المرتبة هي التي تميّز الإنسان عن سائر الحيوانات، فهي إدراك العقل للمعاني الكلية المجرّدة فإنَّ الإدراك الخيالي جزئي بمعنى أنَّه لا ينطبق على أكثر من فرد واحد، لكنَّ العقلَ الإنساني بعد إدراك عدة صور جزئية يستطيع أن يؤلّف مفهومًا كليًّا يصلح للانطباق على أفراد كثيرة، فيلاحظ أنَّ نفس المعنى الذي وجده في الشخص الأول موجود في الفرد الثاني والثالث والرابع وهكذا فيصنع من هذا المعنى صورة كلية تنطبق على أفراد غير محدودين، وهذا اللون من التصور يُسمّى التعقّل أو التصور الكلي.

الفارق بين الإدراك الحسي والإدراك الخيالي

يتوقّف الإدراك الحسّي على الاتصال بالأشياء الخارجية، مع سلامة الأعضاء الحسية.

سؤال : الاتصال بالواقع الخارجي يحدث إحساس ولا يتكوّن إدراك حسّي وعند انقطاع الاتصال يزول الإحساس؟

فيُقال: إنَّ الإحساس يتحقّق عند اتصال العضو الحسّي بالواقع الخارجي ويزول عند انقطاع ذلك الاتصال، وأمَّا الإدراك الحسّي فهو تفسير للإحساس فعند الاتصال بالواقع الخارجي يتكوّن على إثره إحساس في الذهن تُكوّنُ قوة الخيال صورة عنه وفي تلك الحالة يتكوّن الإدراك الحسّي متزامنًا مع الإحساس.

ومثال ذلك عند تذوق العسل وإحساس حلاوته يحكم الذهن أو النفس في تلك الحالة أنَّ العسلَ حُلوٌ، وبعد انقطاع الإحساس يبقى الإدراك الحسّي رغم أنَّ الإحساس قد زال وعلى هذا لا يتوقف زوال الإدراك الحسّي على انقطاع الاتصال والارتباط الخارجي.

ومن هنا لا فارق كبير بين الإدراك الحسّي والإدراك الخيالي غاية الفارق بينهما هو أنَّه عند الإدراك الحسّي يَكون هناك اتصال مع الخارج ولكن في الإدراك الخيالي يَكون الاتصال مع الخارج قد زال.

نعم أنَّ وضوح الصورة في الإدراك الخيالي لا تكون كوضوحها في الإدراك الحسّي فهي في الإدراك الحسّي أكثر وضوحًا.

الذاكرة (الحافظة أو الاكتناز)

الذكر: هو هيئة للنفس بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلّا أنَّ الحفظ يُقال اعتبارًا بإحرازه والذكر يُقال اعتبارًا باستحضاره. الذكر هو حفظ الشيء.

المقصود من الحافظة هو جميع أنواع الاستذكار وتشمل (الحفظ والتخزين) والاستعادة والاستذكار وبهذا المعنى لها دور مدهش في الحياة الانسانية، حتى قال بعضهم: ((هناك ظواهر وجودية لا تُحصى تُشكّل بمجموعها كيانًا واحدًا، ومثلما لو أنَّ الذرات التي تُشكّل البدن لو كانت لا تلتصق ببعضها بفعل قوة جاذبة المادة لتناثر بدننا فلولا قوة الحافظة الرابطة والموحدة لتعدّد وعينا وحفظنا بعدد لحظات حياتنا)).

للذهن قدرة على حفظ ما يلتقطه عبر الحواس من صور ثم تذكّرها وتحديد هويتها بوصفها عين الصورة الملتقطة سابقًا وليس ادراكًا جديدًا وتسمّى هذه القدرة ((القوة الحافظة)) وهي سرٌّ من أسرار الظواهر الروحية.

لا شكَّ أنَّ الأنسان لديه القدرة على استعادة الصور الحسية واحضارها في الذهن دون أن يحتاج إلى استخدام الحس من جديد كاللقاء بين شخصين

إنَّ الذهن البشري يمرُّ بأربعة مراحل:

الأولى: الحس الأولي: يعني مرحلة تلقي الأشياء من الخارج.

الثانية: الحفظ: أنَّ الشيء الذي يرد إلى الذهن ما لم يترك أثرًا له أو يبقى بنفسه لا يمكن له الحضور على صفحة الذهن مرة ثانية بدون تأثير عوامل خارجية.

الثالثة: التذكّر: يعني الالتفات إلى الخاطرة الماضية أو احضارها على صفحة الذهن الواضحة.

الرابعة: التشخيص: يعني تمييز وتحديد الأمر المتذكّر وأنَّه ليس وهمًا واهيًا وليس احساسًا جديدًا، بل هو تذكر للأمر السابق.

مراحل الذاكرة الانسانية

1- التشفير(Encoding): هي العملية التي تؤدي إلى تحويل المعلومات الحسية التي يستقبلها الفرد من المحيط الخارجي عبر الحواس إلى تمثيلات عقلية، أي إعطاء المعاني للمثيرات الحسية الجديدة من خلال عمليات التسميع والتكرار والتنظيم والتلخيص وغيرها. وتنقسم عملية التشفير إلى ثلاثة نماذج هي:

أ- الشفرة البصرية: هي المعلومات الآتية بواسطة البصر أو العين.

ب- الشفرة السمعية: هي المعلومات الآتية بواسطة السمع أو الأذن.

ج- الشفرة اللمسية: هي المعلومات الآتية بواسطة اليد أو الأصابع.

2- التخزين (الاحتفاظ) Storage: هي العملية التي تؤدي إلى الاحتفاظ بالمعلومات وتخزن في الذاكرة، وهناك تخزين مؤقت في الذاكرة قصير المدى وآخر دائم في الذاكرة طويلة المدى يجعل المعلومات جاهزة ومنظمة للاستخدام وقت الحاجة.

3- الاسترجاع (Retrieval:) هي عملية استعادة المعلومات والخبرات من الذاكرة التي تمَّ ترميزها وتخزينها في الذاكرة.

هناك ثلاثة أنظمة رئيسة في الذاكرة:

الأول: الذاكرة الحسية: هي المستقبل الأول للمدخلات الحسية من العالم الخارجي وهي ذات سعة كبيرة تستطيع تخزين مقدار كبير من المعلومات التي ترد عبر الحواس.

الثاني: الذاكرة قصيرة المدى: هي حلقة الوصل بين الذاكرة الحسية والذاكرة طويلة المدى، وسميت الذاكرة القصيرة لأنهَّا تحتفظ بالمعلومات لفترة قصيرة لا تتجاوز (20 – 30) ثانية قبل استبدالها بمعلومات أخرى، وتتلاشى بعدها المعلومات ما لم يتم نقلها إلى الذاكرة طويلة المدى، فهي محدودة السعة لا يمكنها الاحتفاظ بكم هائل من المعلومات.

الثالث: الذاكرة طولة المدى: هي مخزن يضمُّ عددًا كبيرًا وهائلًا جدًّا من المعلومات المكتسبة عبر مراحل الحياة المختلفة حيث سعتها غير محدودة ويستمر وجود هذه المعلومات في هذه الذاكرة لفترة طويلة فلا تزول آثارها، وهي تنظم المعلومات التي تستقبلها من الذاكرة قصيرة المدى على نحو فعّال حتى تتمكن من استخدامها واسترجاعها عند اللزوم.

النسيان

النسيان هو ترك الانسان ضبط ما استُودعَ، إمَّا عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف ذكره.

نظريات النسيان

الأولى: نظرية التضاؤل أو التلاشي: هذه النظرية يقول بها أصحاب المدرسة السلوكية.

فحوى النظرية: أنَّ الزمن والوقت له دور مهم في حدوث ظاهرة النسيان لدى الفرد، بمعنى عدم استخدام المعلومات الموجودة في ذاكرة الانسان لفترة طويلة هو السبب في تضاؤل وتلاشي المعلومات ويؤدي إلى النسيان .

فالأمر كالعضلة في جسم الانسان في عدم استخدامها لفترة طويلة يؤدي إلى ضمورها وضعفها، ولهذا تسمى بنظرية الترك أو الضمور.

الثانية: نظرية التداخل: هذه النظرية يقول بها أصحاب الجشطلت.

فحوى النظرية: التداخل بين المعلومات السابقة والمعلومات الجديدة يمنع من التذكر ويحدث النسيان، أي المعلومات الجديدة تعيق من ظهور المعلومات السابقة.

هل تختفي المعلومات السابقة؟ أصحاب النظرية يقولون لا اختفي إنَّما حصل تداخل وخلط بين المعلومات الجديدة والسابقة وقد تختفي المعلومات في وقت وقد تظهر في وقت آخر.

الثالثة: التحليل النفسي: (الكبت)

من الأسباب هو غياب المؤشرات والدلالات المناسبة واللازمة في طرائق الاسترجاع، فإنَّ ربط المعلومة أو التعلم بمؤشر أو دلالة يساعد في عملية التذكر.

الفشل في الاسترجاع لدى الفرد إنَّما يرتبط بظاهرة الكبت أي عدم رغبة الانسان بتذكر الأحداث المؤلمة مما يدفعه إلى النسيان ويمكن أن يتذكر الانسان عن طريق:

التداعي الحر: أي سرد الحديث أمام المعالج النفسي عن كل ما يخطر بباله.

التنويم المغناطيسي: المعالج النفسي يحاول محاورة الانسان ويستذكر بعض المعلومات.

الرابعة: النظرية المعاصرة :

سبب النسيان يرجع إلى سبب من ثلاثة:

1- الفشل في أحد عمليات التذكر.
2- خلل في استقبال المعلومة كعدم الانتباه وعدم التركيز.
3- الاحتفاظ والتخزين.

التفكير

من الأمور التي تطابق عليها الشرع المقدّس والعلم هي أنَّ الإنسان يولد وهو خالي الذهن من أيّ صورة علمية، إلّا أنَّه يمتلك الاستعداد والقابلية على اكتساب المعلومات، ولديه الميل والنزوع الفطري نحو التعرّف على ما يحيط به من موجودات يحسّها أو يشعر بها وهذا الميل الفطري يدفع النفس إلى اكتشاف الواقع الذي يحفّ بها.

وتتعرّف عليه من خلال ما زوّده البارئ سبحانه به من حواس، فتبدأ النفس البشرية مسيرتها المعرفية عن طريق هذه الحواس، فتتعرّف على الألوان والأشكال والسطوح المختلفة، وتتحسّس الأصوات والطعوم والروائح المتنوعة.

فما هو هذا التفكير؟ وماهي عملية التفكير؟

هو حركة النفس الإنسانية بقوتها العاقلة عندما تواجه مجهولًا معينًّا، حيث تتحرك نحو ما هو مخزون عندها من معلومات مسبقة فتبحث فيها عمَّا يناسب هذا المجهول وبعد أن تجد تلك المعلومات ترتّب بينها لتصل إلى نتيجة معينة ترفع الجهل فيصبح ما واجهته من أمر مجهول معلومًا عندها، وبهذا فإنَّ عملية التفكير عبارة عن حركتين:

الحركة الأولى: يكون من خلالها جمع المعلومات المناسبة لرفع المجهول.

الحركة الثانية: التي يكون فيها التأليف بين المعلومات المنتخبة للوصول إلى المطلوب.

ومن هنا يتّضح أمران: الأول: لا يمكن للإنسان أن يكتسب معلومات جديدة ما لم يكن لديه معلومات مسبقة، وبالتالي فعملية التفكير متوقّفة على تلك المعلومات المسبقة, فهي بمثابة رأس المال لها (كلّ تعليم وتعلّم فبعلم قد سبق)، **والثاني:** أنَّ الحركة التفكيرية حركة إرادية صناعية منتظمة مؤلّفة من حركتين، إحداهما لتجميع المواد الأولية، والأخرى لترتيب هذه المواد على الصورة التي تؤدي إلى المطلوب.

التفكير هو: جهد يبذله العقل في سبيل اكتساب تصديق وعلم جديد من معارفه السابقة.

مهارات التفكير Thinking Skills

إنَّ مهارات التفكير تعتبر من الأدوات اللازمة والضرورية لأيّ عملية تفكير يقوم بها الإنسان فهي بمنزلة رأس المال وحجر الأساس في عملية تفكيره، ومن هذه المهارات:

1- **التّسبيب:** يعني القدرة على الربط بين السبب والنتيجة، والعلّة والمعلول، واللازم والملزوم، وكذلك القدرة على الاستنتاج والحكم.
2- **التحويلات:** تعني القدرة على ربط الخصائص المعروفة بغير المعروفة، وانتزاع المعنى، أو اشتقاقه، وكالاستقراء المنطقي، والمجاز.
3- **العلاقات:** تتمثل بالكشف عن عمليات منتظمة، كالكشف عن العلاقات بين الأنماط، وبين الأجزاء والكليات، والتحليل، والتركيب، والتنظيم، والاستدلال.
4- التصنيف: هو القدرة على تحديد الخصائص المشتركة بين الأشياء من خلال تحديد أوجه الشبه والاختلافات بين المثيرات، والتجميع، والفرز، والمقارنة بين الأشياء.
5- وتعني القدرة على التعرف على الخصائص الفردية المميزة للأشياء، والتعرّف على المشكلة، والتعريفات، والحقائق.

أنواع التفكير

من أهمّ أنواع التفكير الإنساني اثنان هما: التفكير الناقد، والتفكير الإبداعي ولأهميتهما سنتعرض لهما بإيجاز تباعًا.

التفكير الناقد Critical Thinking

هو تفكير تحليلي، وتأمّلي، وهادف، ومسؤول، ومعقول في ضوء ما يتوفر لدى الفرد من أسس ومعطيات ومعلومات حول الموقف أو الموضوع أو الظاهرة التي يقع عليها البحث وتقويمها على وفق ضوابط تصحيحية

من الخصائص أو الميول التي تُعدّ أساسًا للتفكير الناقد :

1- الانفتاح الذهني: يعيد ويراجع نظره ويغير أحيانًا من أفكاره.
2- الاستقامة: يتبع ما يصل إليه الدليل، فهو يميل حيثما يميل .
3- المرونة: يؤمن بمشروعية الآراء البديلة والأقوال الأخرى .
4- المثابرة والاجتهاد: يؤيد مبدأ التعلم المستمر .
5- المنطق: يرفض الأفكار غير المستندة إلى الدليل والبرهان.

كما تتضمّن قدرة التفكير الناقد تعلّم كيف نسأل؟ ومتى؟ وما الأسئلة التي تُطرح؟ وكيف نعلّل ومتى؟ وما طرائق التعليل التي نستخدمها؟ ذلك أنَّ الفرد يستطيع أن يفكر تفكيرًا ناقدًا إذا كان قادرًا على فحص الخبرة وتقويم المعرفة والأفكار والحجج من أجل الوصول إلى أحكام متوازنة، إذ إنَّ الممارسة الموجودة منذ أمد بعيد لا تعني أنَّها الأكثر ملاءمة لكلّ الأزمنة، أو حتى هذه اللحظة، وقبول فكرة من قبل الجميع لا تعني الاعتقاد بحقيقتها الأزلية دون التأكد أولًا من مدى انسجامها مع الحقيقة.

التفكير الإبداعي Creative Thinking

التفكير عملية عقلية داخلية لغرض الوصول إلى المعرفة الصحيحة، وهذا لا يتمّ إلّا بإعمال العقل واللغة التي هي مادة التفكير ووسيلة ضبطه، فبها وعن طريقها يميّز الفرد بين التفكيرين العادي والإبداعي، ويستطيع الفهم فيما توصل إليه الآخرون من معرفة إبداعية، ولهذا عُدَّ التفكير الإبداعي من أكثر أنواع التفكير التصاقا باللغة، لأنَّها هي التي تحفّز القدرة على الملاحظة والتحليل والمقارنة والتصنيف والاستنتاج، فهو نشاط عقلي يتضمّن جملة من النشاطات العقلية كالإدراك والخيال والتذكّر والتحليل والاستنتاج لغرض إيجاد حلول جديدة أو إنتاج شيء أصيل، وهذا التفكير لا يستغني عن قدراته ومهاراته الأساسية كالمرونة والطلاقة وغيرها.